

جدلية الكلاسيكي والرومانسي في الشعر العربي النيجيري المعاصر

The dialectic of classicism and romanticism in contemporary Nigerian Arabic poetry

يعقوب ارمياء *1

1 قسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو كنو

Yagoubarmalaa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/26 تاريخ القبول: 2022/12/23 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

يمثل العمل الأدبي عموماً صورة لنفسية الأديب، و محيطه، فالأدب الجيد ما عكس هذه الجوانب، وكل ما دار من نقاش عن مصداقية الشعر الجاهلي كان استجابة لهذا الجانب. أما الشعر العربي النيجيري القديم فقد احتفظ بهويته بالتعبير الصادق عن نفسيات مبدعيه ومحيطهم، فجاء واضح الهوية والخصائص، لكن مع بدايات القرن الحادي والعشرين أخذت هذه الهوية تتلاشى في خضم العولمة وموضة الحداثة، بحيث لا يستطيع الواحد رصد هوية بعض النصوص الشعرية إلا بالوقوف على حياة مبدعيها، مما نتج عنه حدوث جدلية هيمنة الرومانسي على الكلاسيكي في النتاج الشعري، مما جعل مساءلة هذا المقال عن كيفية الجدلية، والبحث عن الهوية الأصلية لهذا الشعر، وكيف غابت عن بعضه، وما السبيل إلى استعادتها؟ هذه التساؤلات تمثل إشكالية هذا المقال، الذي سيتم تناوله من خلال ثلاثة محاور؛ محور المقدمة، والدراسة، والخاتمة، ومن ثم ثبت لهوامش المقال ومراجعته، وللوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة، سيبني المقال المنهج الوصفي في جمع مادته وتقبيد نتائجها.

كلمات مفتاحية: جدلية، الرومانسي في، الشعر العربي النيجيري، المعاصر.

Abstract : The literary work generally represents a picture of the writer's psyche and his surroundings. Good literature reflects these aspects, and all the discussion about the credibility of pre-Islamic poetry was a response to this aspect. As for the ancient Nigerian Arab poetry, it retained its identity by expressing the true psyche of its creators and their surroundings, so the identity and characteristics came to be clear, but with the beginning of the twenty-first century this identity began to fade in the midst of globalization and the fashion of modernity, so that one cannot monitor the identity of some poetic

texts except by standing on the life of their creators, which This resulted in the dialectic of the romantic domination over the classical in the poetic production, which made this article questionable about how the dialectic is, and the search for the original identity of this poetry, how it was absent from some of it, and what is the way to restore it? These questions represent the problem of this article, which will be dealt with through three axes. The focus of the introduction, the study, and the conclusion, and then the margins of the article and its references are established, and in order to reach objective and accurate results, the article will adopt the descriptive approach in collecting its material and restricting its results.

Keywords: Jadaliyya, Romance, Nigerian Arabic Poetry, Contemporary.

1. تحديد المصطلحات:

- الجدلية:

إن تحديد معنى الجدلية يتطلب منا أن نتطفل قليلا على موائد المعجميين والفلاسفة ومن ثمَّ النقاد، فعند الوقوف على معاجم اللغة نجد الكلمة مشتقة من الفعل الثلاثي الصحيح (جَدَل) ومنه جَدَلُهُ يَجْدُلُهُ و يَجْدِلُهُ أي أحكم فَنَلَّهُ، والجديل: الزمام المجدول من أدم أو شعرٍ في عنق البعير¹ و جَادَلُهُ: خاصمه، مجادلة وجدالاً، والاسم الجَدَلُ، هو شدة الخصومة²

أما الجدلية عند الفلاسفة فهي فن تقسيم الأشياء إلى أنواع وأصناف للتمكن من فحصها وماقشتها³ وتعني عند أفلاطون السعي إلى التوصل للبرهان الحقيقي، وعند أرسطو عبارة عن استدلالات مبنية على وجهات نظر محتملة.

وصارت الجدلية لدى النقاد المحدثين في القرن العشرين يعني بها "كل فكر يأخذ بعين الاعتبار بشكل جذري دينامية الظواهر التاريخية ومناقضاتها"⁴.

- الكلاسيكي:

تعود الكلاسيكية بجذورها إلى الأدب الإغريقي والروماني في الشعر المسرحي، والقواعد النقدية التي استخلصها أرسطو في كتابه "فن الشعر" ثم تبلورت قواعد الكلاسيكية خلال القرن السابع عشر في الأدب الفرنسي على يد فولتير وأمثاله. أما الكلاسيكية في الأدب العربي فقد ظهرت في العصور التالية للعصر الجاهلي، عندما اتخذ الشعراء من القصيدة العربية نموذجاً يُحتذى في

لغتها وموسيقاها وصورها وأغراضها، وإن تخللت ذلك بعض الاتجاهات التجديدية مثل: ثورة أبي نواس على المقدمة الطللية، أو تجديد أبي تمام في الخيال ومبالغته في البديع، لكن القصيدة العربية بشكل عام ظلت ذات طابع كلاسيكي في معظم مراحل الشعر العربي. وتتلخّص أهم خصائص المذهب الكلاسيكي في أنه: تقليد للأدب القديم وتقديسه والنظر إليه على أنه بلغ درجة من الكمال لا يستطيع الوصول إليها أدباء القرون اللاحقة، واعتماده على العقل وإعطاؤه زمام الحكم والسيطرة على الخيال والعاطفة، ولا يعني العقل التجريدي البارد، بل هو عقل انفعالي يتحقق فيه التوازن بين الفكر والخيال من جانب، وبين الفكر والعاطفة من جانب آخر، والاهتمام بالشكل وجعل المضمون تابعاً له، والإيمان بهدفية الأدب أخلاقيته، والالتزام بالوحدات الثلاث (الموضوع والزمان والمكان)⁵

أما الكلاسيكية في الشعر العربي النيجيري فقد تبلورت منذ القرن التاسع عشر الميلادي إلى أواخر القرن العشرين متمثلة عند كبار شعراء الفترة أمثال: الشيخ عثمان بن فودي، والأستاذ عبدالله بن فودي، والوزير جنيد، والشيخ يحي النفاخ، والشيخ محمد ناصر كبر، والقاضي عمر وإبراهيم أحمد مقري وغيرهم.

- الرومانسي:

ظهر الاتجاه الرومانسي في فرنسا مستخلصاً من أفكار (جان جاك روسو) منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر نتيجة الثورة على الاتجاه الكلاسيكي في أوروبا في مجالات السياسة والاجتماع والفكر مما مهّد للثورة الفرنسية عام 1789م.⁶

وتتمثل خصائص المذهب الكلاسيكي في الميل إلى الدين لتلبية حاجة الإنسان إلى العقيدة الروحية التي منبعها القلب، تلي ذلك الطبيعة التي جسّدتها فكرة الثورة على القيود والتقاليد والظلم، فصار التوجّه إلى الطبيعة ميلاً إلى الفطرة والنقاء. ثم الحب والمرأة، وقد قادهم التوجّه العاطفي للنظرة إلى الحب على أنه عاطفة ملهمة وفضيلة كبرى، فارتفعوا به إلى درجة التقديس والعبادة. وكثيراً ما ترافق التعبير عن الذات شكوى وإحساس وتبرم من الحياة وقوانين المجتمع وظلمه. ولذلك جاء نتاج الرومانسيين طافحاً بالأحزان متلفعاً بالتشاؤم لأنذا بالهروب إما إلى الطبيعة أو إلى عوالم الروح أو إلى عوالم الماضي بذكرياته المرّة والحلوة أحياناً.⁷ ومن أهم ما تميز به المذهب الكلاسيكي أنه نزل باللغة الأدبية إلى مستوى اللغة اليومية أو قريباً منها، كما أنه جعل الصورة في قالب خيال جامح وعالم مجهول، وجعل قيادة الصورة وزمامها بيد العاطفة.⁸

أما الرومانسية في الأدب العربي فلم تتخذ طابعا مذهبيا تتجسد فيه النسب الفنية للرومانسية إلا في العصر الحديث، خصوصا في الربع الأول من القرن العشرين، نتيجة الاتصال المباشر بين حياة العرب الثقافية والثقافة الأوروبية، فتأثر النقاد العرب أمثال العقاد بكتابات (هازلت)، وتبلورت الممارسات الرومانسية في نقاد عرب آخرين أمثال: المازني، وشكري، وشعراء المهجر الأمريكي، وجماعة أبولو مثل: ناجي، وعلي طه، والمهندس، والشابي وغيرهم⁹ ولم تظهر الرومانسية بخصائصها الفنية واضحة المعالم في الشعر العربي النيجيري إلا في العقد الأول من القرن العشرين عندما قوت أواصر الصلة الثقافية بين شعراء نيجيريا وغيرهم من العرب بطريق الانفتاح الثقافي نتيجة العولمة والبعثات وغيرها.

الهوية الكلاسيكية للشعر العربي النيجيري:

جعلها البحث في ثلاث هُوياتٍ، هي الهُوية الفئّية، والجغرافية، والدينية. وفيما يلي تفصيل لهذه الهُويات على النحو التالي:

أ) الهُوية الفئّية:

يتميّز الشعر العربي النيجيري في شكله ومحتواه بخصائص تميّزه عن غيره، وقد وقف الباحثون وقفة متأنية لتحديد خصائصه، فممن وقفوا عليه من الباحثين: الدكتور علي أبوبكر¹⁰ والدكتور سعيد أحمد غلادنتي¹¹ والشيخ آدم عبدالله الإلوري¹² والدكتور شيخ عثمان كبر¹³، والأستاذ كبير آدم تُدُنُ نُفَاوَا¹⁴ ويمكن تحديد ما قالوه عن خصائص الشعر العربي النيجيري في فتراته التاريخية حسب التالي:

- 1- التزامه الشعر العمودي في أوزانه وقوافيه، وأغراضه وأفكاره، ولغته وديباجته، واستمداد صورته.
- 2- ثراء موضوعاته: فبالإضافة إلى الموضوعات الشعرية التقليدية وُجد شعر الجهاد وشعر الدعوة وشعر الشكوى، والحنين، والمناسبات القومية والاجتماعية، وشعر الدعابة. والمناجاة، إلى جانب الشعر السياسي والاجتماعي والفلسفي والعلمي.
- 3- التجديد في معاني بعض موضوعاته، ففي المدح تركوا وصف الممدوح بالشجاعة والكرم وعوّضوا عنها بحسن السياسة، وتعمير البلدان، وتوفير الرفاهية، وتحقيق العدل، وقمع الظلم، ومعاونة المحتاجين، كما امتاز المدح في هذه الفترة بصدق العاطفة وتصوير البيئة.

4-جنوح لغته – في الغالب - إلى السهولة لتأثرها بالشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام وبالمدائح النبوية الرائعة، وبعدها عن المغالة في توظيف المجازات والتفلسف العميق.

5-محاولات كتابة الشعر العمودي والحر، كما وُجد من بين الشعراء من وسَّعوا في فن التخميس والمعارضة إلى جانب نظام السباعيات والعشاريات، والمسرحيات الشعرية.

6-جنوح بعض الشعراء خلال العقد الأخير من القرن العشرين إلى الرمز الشعري، والمفارقات التصويرية، والصور التناسية، وتكامل الصور الفنية.

ب\الهوية الجغرافية:

المراد بالهوية الجغرافية هي الأحوال الطبيعية من المناخ والتضاريس والسهول والأودية التي نشأ في كنفها الشعر العربي النيجيري. وتجلت هذه الأحوال بوضوح فيه، ومعلوم أن الطبيعة الجغرافية لمناطق شمال نيجيريا تختلف عنها في مناطق جنوبها، فمناطق الشمال يسود في معظمها مناخ صحراوي جاف، بينما كان المناخ استوائياً في مناطق الجنوب لكثرة التبخر ووفرة المياه السطحية والأمطار فيها، وقد انعكس هذا المناخ على الحياة النباتية، ففي الجنوب غابات مستنقعية وأشجار مثيفة باسقة، وفي الشمال غابات شوكية ذات أشجار قصيرة متناثرة.¹⁵

تشكّل الطبيعة أهم مقومات الإبداع لدى الشاعر، فمنها يستلهم معانيه ويجسدها للتعبير عن رؤاه، إلا أن الشاعر يأخذ من الطبيعة بقدر ما تتيح له الطبيعة الجغرافية التي نشأ فيها، وكذا العادات والتقاليد التي تربط العلاقة بين الطبيعة والإنسان، ومن ثمّ فعلاقة الإنسان بالطبيعة حوله تختلف من جماعات إلى أخرى، بحسب توفر مظاهر الطبيعة أو العكس، وبحسب مدى العلاقات بين الإنسان والطبيعة، فهيام الشاعر الأندلسي بالطبيعة يفوق هيام غيره بها بما خصّ الله به الأندلس من جمال الطبيعة¹⁶

ج\الهوية الدينية:

نشأ الشعر العربي النيجيري في ظلّ ظروف دينية ومن ثمّ اتسمت صفات معظمه بهوية دينية خالصة، غايته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، والتقرب إليه بالتضرعات والابتهالات، وإظهار محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتغني بمناقبه وصفاته الخلقية والخُلقية، كما أنه اتخذ وسيلة تعليمية ودينية في نظم المتون.

ولهذا جاء الشعر العربي النيجيري ملتزماً بتعاليم الدين، يشغل المديح النبوي حيزاً كبيراً منه، وكان الشعراء حذرين في التعامل مع النصوص الدينية في قصائدهم.

2. الهوية الرومانسية للشعر العربي النيجيري المعاصر

المتتبع للشعر العربي النيجيري الحديث يجده يميل إلى الأصول الرومانسية من حيثيات مختلفة، رصد المقال ستاً منها، هي: الحب والمرأة، والهيام بالطبيعة، وطغيان العاطفة، وجموح الخيال، والتفتُّح الثقافي، والتمرد على التقاليد الشعرية القديمة، ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

1.1. الحب والمرأة:

تحظو المرأة بمكانة رفيعة في قصائد شباب شعراء نيجيريا في هذه الفترة، فقد لا يُخطئ الواحد إذا زعم بأن الغزل يشغل الثلثين من إنتاجات هؤلاء الشعراء بنسبة حوالي 70% إذا اتخذنا عنوان "بيت الشعر النيجيري" على الواصل كنموذج لهذه الإحصائية، والذي فيما نحسب أنشط المواقع إنتاجاً شعرياً في هذه الفترة. فقد وُجد من بين شعرائه من انشَبوا إلى محبوباتهم، كأبي زرع، وأبو حلِيمَتين ومُتيم أبو زينب وغيرهم، وقد تَفَنَّن بعض شعراء "بيت الشعر النيجيري" في الغزل حتى تعرَّضوا للغزل الفاحش محتجِّين في ذلك بحرية الفنِّ والتعبير، وقد يتسابق أولئك الشعراء بين فينة وأخرى في التغزل بصورة امرأة جميلة، "ماذا تظنين نفسك" للغندوي أبو فياض، و"مريم" و"الأنثى" لأبي حلِيمَتين، "وإني أراك بعيني" ليونس آدم، و"حورية" لمُتيم أبو زينب، و"إني غدرت يتيمة" للنبراسي وغيرها.

2.1. الهيام بالطبيعة:

تمتلك الطبيعة مكانة خاصة عند الرومانسيين بحيث أصبحت عندهم جزءاً من تجاربهم الشعرية، وصارت تشاطر الشاعر في أفراحه وأتراحه كما صار هو يشاركها تجربته للوصول إلى العالم المثالي، فهو إذ ينظر إليها لا يراها بعين مادية بل إنما ينظر إليها كوسيلة للولوج إلى العالم المثالي.

أما الطبيعة في الشعر العربي النيجيري القديم فكان حضورها ضعيفاً، وعلاقتها بتجربة الشاعر واهنة لا تتجاوز التصوير المادي بخلاف ما نشاهد ونقرأ في دواوين بعض الشعراء المعاصرين كديوان "سكرة البوح"¹⁷ وكذا في ديوان "نشوة البلابل" للشاعر نفسه.

3.1. طغيان العاطفة:

يرى الرومانسيون بأن الأدب السامي هو الذي يستطيع تصوير حركات الحياة وعواطف الأفراد والجماعات، وهو الذي يستطيع أن يبعث في قرائه وسامعيه الانفعالات السامية، ويلتزم فيه تصوير العاطفة الممتدة على الناحية العقلية، إلا أن المرء كثيراً ما يبحث عن الأدب الوجداني البحت، ويلجأ إليه، لأنه يسليه، ويدفع عنه الهم.

وهذه العواطف التي يصورها الأدب، ينبغي أن تكون صادقة قوية حارة تمثل كل عاطفة، ليكون الأدب صادقاً خالداً مؤثراً.

ومن ثمّ نادى جماعة من الرومانسيين بأن تكون غاية الوصف الحسي في فلسفة الموصوف، ونقل أثره في نفس الأديب لغيره، لا أن يفعل الأديب كما تفعل آلة التصوير، أو كما يريد أصحاب الواقعية المحضة. فالعاطفة عندهم هو الجانب الأكثر حيوية في الأثر الأدبي، وعلى هذا الأساس عابوا على الكلاسيكيين الاهتمام بشكل الشعر دون مضمونه.

أما العاطفة في الشعر العربي النيجيري عموماً فمحاظة بالترام تعاليم الدين الإسلامي بحيث لا يخرج الشاعر عن دائرتها مهما بلغ طغيان عاطفته، ف جاء شعرهم ملتزماً بالدين، تحيط به هالة من تقديس النصوص الدينية وشخصيات الأنبياء والرسل والصحابة رضوان الله عليهم.

أما الشاعر النيجيري المعاصر فيحاول الانفلات من هذه البوتقة ليسرح عنان عاطفته منطلقة إلى متاهات الخيال، كما هو ظاهر من قصيدة "وحشة الليل" للشاعر نافع أبوبكر العفاسي¹⁸:

وهناك في جوف الظلام كما الذنوبُ الموبقاتُ
في صمتٍ ليلٍ كالأصمِّ بلا رُقودٍ أو سباتٍ
في ربةٍ الأطياف ... في صدر القوافي القاتمات
سبع شدادٍ لم تذر حتى التي في السُّنْبَلاتِ
أدمنتُ ما لو ذاقه (نُو النون) في حوتٍ لَمَاتِ

وهناك ... واللاوعي يخنقني يُكَلِّني سُؤالُ
وخواطري مذعورةٌ من قبضِ أشباح الخيالِ
وبدا الظلامُ تدقُّ أبواب العيون، تدقُّ بالِ
وأنا أطارِدُ رعشَتِي وأفدُّ أنواب التلالِ
وأرى ظيولَ الليلِ فدَّامي ... فأدِنُ يا بِلالِ

وهناك ... حتى الصَّرْحَةُ الْبِكْمَاءُ في صدري تَنُنُ
لَكِنَّ شَيْئاً مَا وراءَ ضُلُوعِ أَحْسَائِي يَجُنُّ
وتَهْبُّ من رَتَّيْ أَنْفَاسٍ بها حَرْفِي جُنُنُ
وعلى يقين الشِّكِّ يَبِينِي مَجَازِي حَشِينُ
فَإِذَا بِصَوْمَعَةِ الرِّيَّاحِ تَهْبُّ مِنْ فَوْقِي وَمِنْ...

وهناك...عُدْتُ مِنَ الضَّلَالِ وَرُدَّ عَنْ صَدْرِي
الضَّبَابُ
وتقاطرتْ نشواتُ نُورٍ بعدما كُثِفَ الْحِجَابُ
فَإِذَا حُرُوفُ النُّورِ تُشْرِقُ مِنْ يَنَابِيعِ ((الكِتَابِ))
فَابْتَلَّ صَدْرِي بـ((الْقُرْآنِ)) وعاد عقلي مِنْ غِيَابِ
وهناك... كُلُّ تَسَاوُلَاتِي شَقَّهَا أَيْدِي الْجَوَابِ!¹⁹

إن تجربة العفاسي في المقاطع الشعرية السابقة تشبه تجارب بعض الشعراء
القدامى كامرئ القيس²⁰ و المتنبي²¹ فكلاهما ذاق التجربة ورسمها شعرا رائعا،
إلا أن أحداً منهما لم يدَّع أن معاناته في الليل فوق معاناة (ذو النون) بحيث لا
يستطيع (ذو النون) تحمُّل مثل ما تحمَّله من المعاناة، أما امرئ القيس فلم يقل
بذلك لأنه جاهلي لا يعلم عن القصص القرآني شيئاً، أما المتنبي فقد عاش في عصر
قريب العهد بعصر النبوة، فلعله قرأ حديث «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأُمَّتُ
فَالْأُمَّتُ»²² أما العفاسي فأطلق عنان عاطفته الجموحة فأوقعته في شرك المبالغة
أو الإحالة مما أخرجته عن حدِّ الالتزام الديني.

ومثال آخر من قصيدة لعبد الواحد الفيصلي²³:

أرويه عن (هاروت) عن (ماروت) مذ

زوجت (هوميروس بالخنساء)

مذ بوأتني الروح

عرش غيايها

أقتات أكل

هذه الأبناء

في البدء

صافحني خيال ضائع
 فضمته في آخر الأشياء
 ما لونُ شعرك؟
 إنه قوسُ السحاب
 وتارة كالماء
 كالحرباء
 كم عمر شعرك؟
 لم يظل في البطن مذ
 عشرين يشعل بالمداد دمائي
 من أين شعرك؟
 لست أدري بل،
 من الشك اليقين
 ونصف وحي سماء
 ولمن تقول؟
 أقول شعري لي ولي
 ومتى تقول؟
 متى سمعت ندائي
 (شكسبير سوناتاك)
 أمزجه بخمر
 معلقات الشرق للقراء
 أمسى منّي أبجدياً دافقا
 يخشى عفاريتي على أبنائي
 قف للقدامي
 جُد بصمت دقيقة
 هبة إلى شعرائنا الشهداء
 أفأنت تشتاق المعاني ثديها؟؟؟
 شوق البراري الناشفات لماء
 حتى تشيخ
 ارضع لدي
 وإن تشأ
 مت نملّة

في سكرٍ وروائي
اليوم أسلم للجمال وشيخه
فاخلع هنا الدنيا
وصلّ ورائي
أت القصيدة يا بُني صواجي
فقد اشتريت بقاءها بفنائِي
لو كان يحدث
أن تعيد عقبتي
عذرا أبي فالشعر من أسمائي
فالشعر شبّاك
النبوءات التي
عوراتها لم يسترقها راء
الشعر معجزتي
وبعض رسالتي
والروح روعي
وهو غار حرائي
اليوم أكملتُ القصيدة فنّها
لتبايعوني خاتم الشعراء

يحير القارئ عند محاولة تحديد هويّة القصيدة السابقة، فهي ليست عمودية ولا حرّة ولا شعر تفعيلة، فضلا عن ضباب رؤيتها في خضم الاستدعاءات التي تتطلب تفلسفا عميقا في تفسيرها، أضف إلى ذلك بذاءة بعض ألفاظها.

4.1. الخيال الجامح:

يرى الرومانيون بأن عناية الأديب بالصور الخيالية عامل من عوامل الجمال في الأدب، بل إن شأن الأدب هو الاقتراع لا التقليد، فهو إذا يعتمد أساسا على الخيال، الذي يساعد على اتساع مداه طبيعة ما في الألفاظ من قصور عن التعبير التام عن النفس²⁴.

أما الخيال في الشعر العربي النيجيري القديم فعقيم أو ضيق مثله في ذلك مثل الخيال في الشعر العربي القديم. وبما أن لكل شعب خياله الخاص، المتأثر ببيئته الخاصة، فليس من الحق إذن أن يعاب على الأدب العربي القديم خلوه عن الشعر القصصي أو التمثيلي بمعناهما الاصطلاحي الحديث، وليس من الحق أن

نحکم على ذلك بعقم الخيال العربي أو ضيقه؛ كما يقول بعض النقاد و المستشرقين.

ونموذج آخر من شعر علي مصطفى لون²⁵ من ديوانه "سكرة البوح"

شرد الكلام، وبالمسافة سكرة
وحواطري حيرى تُفَتِّشُ عَنْ فِيمِ
أتجرع المعنى فكيف أريقه
أيان تسكن نبضتي في جبة الـ
قلبي يشيخ وحيرتي إن سقنتها
تتبسّم الأحلام في وجهي، فينـ
وكأنني ليل يسافر مُتَقَلِّداً
والريح تقطر رقة، حتى إذا از
وحددي أطاردُ خطو أوهامي التي
فَعَسَايَ أَبْصِرُ نَجْمَةً تَمْشِي عَلَى
حتّام أسكب رجع أيامي على
وأسير في ثوب المساء مُطَارِداً
يأيها البحرُ المُسَافِرُ فِي المَدَى

ماذا سأذبح والحروف جياغ
يُنَلِّي، لتشرب خمرة الأسماع
ماء، ليملاً كفه الإبداع؟
معنى، ويزهّر في يدي يراع؟
للنجم أوراق في الطريق ضياغ
شق الظلام، وكلهن خداع
بيني وبين الكائنات نراع
تطمّت بصوتي، هزها الإسراع
ولت، ووجه البوصلات قناع
رأسي، ويملاً مقلتي شعاع
وترّي فتفرش صمتها الأصقاع
ظلاً، يلوح ... براحتيه وداع
ما ذنب "نوح" إذ عصاه شراع²⁶

نجد الشاعر في هذا النص مفتونا بالتشخيصات والتجسيديات إلى حد الإفراط مما نتجت عنه صعوبة فهم النص، ففي كل بيت تجد حوالي ثلثي كلماته تحمل معنى مجازياً، كما نلاحظ هيام الشاعر بالطبيعة في نسج معانيه والتعبير عن تجربته. أمثال هذه الصياغة قد يراها العربي سهلة²⁷ لكن غيره يجدها صعبة لأنها تخالف اللغة الشعرية المألوفة عنده.

5.1. التفتح الثقافي:

يمتلك شعراء الجيل الحاضر من التفتح الثقافي ما لم يمتلكه الشعراء السابقون عليهم، فجاءت قصائدهم مشحونة بتجارب تدل على هذا الانفتاح، منها، تجديد نظرتهن نحو العلاقة بين الرجل والمرأة بسبب ما قرأوه من قصائد كبار شعراء الرومانسية في العصر الحديث، ومنها توظيفهم للشخصيات المختلفة لإثراء تجاربهم الشعرية، فكانوا يستندون شخصيات الأنبياء والشعراء والمفكرين والفنانين، أضف إلى ذلك استدعاءهم للمواقف والأحداث والنصوص.

وهذه الظاهرة واضحة في قصائد المالكي²⁸، وعلي مصطفى لون²⁹، والعفاسي³⁰ والفيصلي وغيرهم.

6.1. التمرد على التقاليد الشعرية القديمة:

تتجلى نواحي تمرد شعراء هذا الجيل من نواحي مختلفة من أهمها: المعجم الشعري، فقد كان الشعراء السابقون عليهم يميلون في قصائدهم إلى المعجم الشعري القديم فجاءت ألفاظهم في الغالب قوية فخمة جزلة لتأثرهم بالشعر العربي الكلاسيكي، فخلاف شعراء هذا الجيل الذين جنحوا بالمعجم الشعري نحو اللغة اليومية، فصاروا لا يهتمون بجزالة اللغة أو رقتها بقدر ما يهتمون بالعبير عن تجاربهم النفسية. وكان اللغة عندهم سهلة وحتى وإن وجدنا غموضاً فإنه في الغالب ينشأ عن طغيان العاطفة وجموح الخيال.

- أسباب الجدلية :

حاولنا قدر الإمكان رصد عدد من العوامل التي نراها سببا للجدلية في الشعر العربي النيجيري، منها: العولمة، والرحلات العلمية والثقافية، واختلاف الغاية من العمل الأدبي، وسلطان الفتوة والموضة على كثير من الشعراء المعاصرين، ويمكن تفصيل هذه الأسباب كالتالي:

1- **العولمة:** جعل العالم قرية إلكترونية صغيرة تترابط أجزاءها عن طريق الأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية والقنوات التلفزيونية،³¹ فقد أتاحت هذه الوسيلة للشعراء النيجيريين فرصة التواصل والاحتكاك مع كبار الشعراء العرب بما تقدفه وسائل التواصل الاجتماعي من آلاف النصوص والداوين الشعرية، وقد استطاع هذا البحث أن يرصد عددا من صفحات التواصل الاجتماعي المهمة بالشعر العربي الفصيح منها: صفحة تميم البرغوثي³²، وأحمد بخيت³³، ونزار القباني(ت،1998)³⁴، وهشام الجخ³⁵، و صفحة روائع الشعر والشعراء³⁶.

كما أتاحت العولمة للشاعر النيجيري فرصة الاتصال المباشر مع عمالقة الشعراء العرب عن طريق البرامج التثقيفية الأدبية التي تبثها القنوات الفضائية، وخير نموذج لذلك هو "برنامج أمير الشعراء" الذي يأخذ شكل مسابقة في مجال الشعر العربي، تنظمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بإمارة أبو ظبي، بدأ البرنامج في عام 2007م، وهو حدث سنوي كبير يتم في آخر كل مسابقة تتويج شاعر بلقب "أمير الشعراء"، الذي قد انفرد به الشاعر المصري أحمد شوقي لعقود من الزمن، يتم عرض فعاليات المسابقة على شاشة قناة أبو ظبي.³⁷

لا شك أن العولمة فرضت تأثيرها على الشاعر العربي النيجيري فأخذ يحتك بكبار شعراء العرب من دون تمحيص بين مختلف هويات أولئك الشعراء الذين يأخذ عنهم، حتى وإن كانت الثقافة العربية تجمعهم فإنهم ينتمون إلى أعراق مختلفة تفصيل بينهم مواقع جغرافية متباينة وشاسعة حيناً، ومن ثم قد تجد اختلافاً في اللغة والفكر والأيدولوجية الدينية والاجتماعية والسياسية، مما ينتج عنه ظهور نصوص مختلفة الهويات لاختلاف هويات مبدعيها.

2- البعثات العلمية:

بدأت الرحلات العلمية بصورتها الحديثة من نيجيريا إلى المشرق العربي ومغربه منذ طليعة القرن التاسع عشر الميلادي إلى اليوم، وقد نتج عن ذلك احتكاك المبعوثين بثقافة البيئة التي استضافتهم، فتأثروا بها، إلا أن هذا التأثير قد بلغ أشده خلال هذا الآونة، مما أسفر عنه وجود شعراء متعربين في تفكيرهم وفي لغتهم وفي أسلوب شعرهم، وليس ثمة فرق بينهم وبين أبناء العروبة سوى لون البشرة، فحين يقرأ الباحث النيجيري ديوان بعض هؤلاء الشعراء تتمثل أمامه أغزاً لا يستطيع فك رموزها إلا بالاستعانة بالشعراء أنفسهم، لسبب تأثير الأوضاع السياسية والثقافية والفكرية المعقدة التي يعيش فيها العالم العربي، والتي تمثل عقبة أمام المتلقي النيجيري تجاه فهمه لنصوص أولئك الشعراء.

3- اختلاف الغاية من العمل الأدبي بين الشعراء:

تضاربت أقوال النقاد قديماً وحديثاً حول الغاية من العمل الأدبي، ففي حين يرى الكلاسيكي بأن الأديب صورة لمجتمعه وعليه أن يهتم بقضايا المجتمع ويساعد بعمله في تهذيبه وترقيته وإعلاء كلمته، يرى الرومانسي خلاف ذلك، فالأدب الخالص الجميل عند الرومانسي هو ما عبّر تعبيراً صادقاً عن نفسية مبدعه، وليس للأديب رسالة سوى التعبير عن خلجات نفسه.

فعلى هذا الأساس نلاحظ تأثير المذاهب النقدية في بعض الشعراء المعاصرين، فلم يعد للشعر عندهم رسالة، بل الشعر عند بعضهم عبارة عنالتطفّل في موائد كبار شعراء الرومانسية العرب، والجنوح إلى لغتهم وأساليبهم.

4- سلطان الفتوة على الشعراء الحدائين:

يعيش معظم شعراء الحدائين في سن الفتوة بأعمار تتراوح بين عشرين إلى ثلاثين من العمر، ولذا يحتل الغزل أعلى المساحات في دواوينهم، وكانت نزعاتهم الإبداعية رومانسية الطابع، مما جعلهم يتسابقوا إلى قراءة دواوين كبار شعراء الرومانسية، وخير شاهد على هذا هو استدعاء هؤلاء الشعراء لمصادر

صورهم الشعرية من ظواهر طبيعية لا تربطهم بها إلا الدواوين التي قرؤوها، ومن ثمّ لا تتصف معظم تجاربهم بصدق العاطفة، وإنما هي سواد في ورق.
حلول ومقترحات:

ليس هدف هذا المقال أن يظل الإنتاج الشعري النيجيري في برجه العاجي بعيداً عن تقدّم الفنون والانفتاح المعرفي والثقافي، أو أن يظل مربوطاً بأمراض كتانٍ إلى صمّ جندل، وإنما الهدف المقاربة بين الأصيل والحداثي لإيجاد هوية تأخذ منهما بالتساوي، وعليه فإن المقال يرى ضرورة مراعاة التالي:
أ/ العودة إلى التراث لبعثه وإحيائه:

تتحقق العودة إلى التراث عن طريق القراءة الواعية له، وهذا يتطلب توافر الجهود من الأفراد والمؤسسات والمعاهد العلمية، أما الأفراد فالمراد بهم الشعراء أنفسهم، ثم طلاب الأدب في جميع مستويات الدراسة، أما المؤسسات والمعاهد فيتمثل دورها في الاهتمام الخاص بالأدب النيجيري في جمعه وتمحيصه وتحقيقه وتقديمه للقراء، وفي مراجعة المقررات الدراسية في الجامعات والكليات والمدارس الإعدادية والثانوية العربية مما يتيح فرصة لاحتكاك الطالب بالنصوص الأدبية النيجيرية منذ المرحلة الدراسية المتوسطة، فتتفتح عيونه عليها.

ب/ المقاربة بين التراثي والحداثي في صناعة الشعر:

إن ما قام به محمود سامي البارودي لإحياء الشعر العربي بالعودة به إلى عصوره الذهبية، وإثرائه بتجربة حديثة مما أضاف إليه نكهة خاصة؛ كان خير نموذج للمقاربة التي نطالب بها، ولا أخالني مخطئاً إن قلت إن بعض الشعراء النيجيريين قد نجحوا في وضع أساس لمثل هذه المقاربة، أذكر منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد مقري في خلاصة عشرينياته، فالديوان من حيث المنحى الفكري والفني خير نموذج لهوية الشعر العربي النيجيري.

ت/ مراعاة جمهور المتلقين للشعر:

عند يكتب الشاعر قصيدة ينبغي أن يراعي جمهور المتلقين لشعره، فحينما يكتب شاعرٌ نيجيري قصيدة إنما يكتبها للنيجيريين كجمهوره الأول ثم قد يتلقاها غير النيجيري، وعليه يجب أن يخاطب عواطفهم ويجعلهم يشاركونه في تجربته، مستوظفاً صياغة قريبة من فهمهم، ويضع شعره في قالب يتلقونه بحفاوة وحبور، تلك هي الهوية التي ندعوا إليها. و حذّر أن يغرّ شاعر بأنه يكتب للدنيا، فكل جماعة شعرها وشعراؤها، وقد لا يطيب لهم شعر من غير شاعرهم.

الخاتمة:

نعترف في ختام هذا المقال بديناميكية الشعر لكن من دون أن نسمح بسلب هويته وإلباسه هوية لا تخدمه في شيء، فينبغي أن يظل الشعر العربي النيجيري متميزاً في شكله ومحتواه ليخدم بذلك جمهوره المتلقي ويتواصل معه، فيشاطر الشاعر رؤاه ورسالته مع جمهوره، وإلا أصبح الشعر أغازاً، وصار الشاعر راهبا في برجه العاجي منعزلاً عن جماعته. ولا سبيل إلى الحفاظ عن هوية شعرنا إلا بالجمع بين التراثي والحداثي.

بدأ المقال بتعريف الهوية ثم تلى بتحديد الهوية الفنية والجغرافية والدينية للشعر العربي النيجيري مع عرض بعض النماذج التي يراها المقال خارج نطاق تلك الهوية لسبب أو لآخر، كما وقف المقال عند بعض الأسباب التي أدت إلى غياب تلك الهوية في النماذج، ووضع المقال بعض الاقتراحات التي قد تكون حلاً لإشكاليته، وتوصل إلى نتائج كالتالي:

1- يمتلك الشعر العربي النيجيري كغيره من الشعر هوية تميزه، منها الهوية الفنية، والجغرافية، والدينية.

2- توجد قصائد لشعراء نيجيريين غابت عنها بعض الهويات السالفة الذكر.

3- دعت إلى غياب تلك الهويات أسباب رصد المقال ستة منها.

4- وأنه لا سبيل لتدارك هذا الغياب إلا بالعودة إلى التراث بإحيائه وبعثه، والمقاربة بين تراثيه وحداثيته، يضاف إلى ذلك مراعاة الجمهور المتلقي للشعر العربي النيجيري.

5- وأكد المقال بطروحاته ما دعا إليه طه حسين عند تعريف الشعر بأن "يتصل بنفوس الناس"

الهوامش:

1- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص233.

2- محي الدين عبد الحميد ومحمد السبكي، المختار من صحاح اللغة، ص71.

3- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، الإصدار الأول، منشورات عويدات للنشر والطباعة، بيروت - باريس، 2012م ص219.

4- المرجع السابق، نفس الصفحة.

5- مدخل إلى النقد الحديث، شلتاغ شرود عبود.

6- المرجع نفسه والصفحة بتصرف.

7- المرجع نفسه والصفحة بتصرف.

8- المرجع نفسه والصفحة بتصرف.

9- المرجع نفسه والصفحة بتصرف.

- 10 - علي أوبوكر (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال، ط2، دار الأمة.
- لوكالة المطبوعات، كانو، نيجيريا، 2014م ص369 و392 إلى 412.
- 11 - غلادنتي، سعيد أحمد (الدكتور)، حركة اللغة العربية في نيجيريا، ط3، النهار للطبع والنشر والتوزيع، 1428م - 2008م ص103.
- 12 - الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ)، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط1، مكتبة وهبة، 2012م، ص21.
- 13 - كبير، شيح عثمان (الدكتور)، الشعر الصوفي في نيجيريا، دراسة موضوعية تحليلية لنماذج مختارة من إنتاج العلماء القادريين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ط1، النهار للطبع والنشر والتوزيع، 1421هـ، ص195 إلى 278.
- 14 - تندن ثفاؤا، كبير آدم (الدكتور)، المدخل إلى الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر الميلادي، ط1، دار الأمة لوكالة المطبوعات، ص29، 35، 36.
- 15 - www.wikipedia.org/11/10/2021/8:55pm.
- 16 - يقول لسان الدين بن الخطيب: (خص الله بلاد الأندلس ما حرّمه الكثير من الأقطار مما سواها)، وفيه يقول ابن خفاجة:
- يا أهل أندلس لله دُرُكم ماءً وأنهارٌ وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيّرت أرضا هذي كنت أختار
(جودت الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ط2، دار المعارف، بمصر، 1960م ص85)
- 17 - راجع في ذلك موضوع (مصادر الصورة الاستعارية في ديوان "سكرة البوح") ضمن رسالة ماجستير بعنوان: "الصورة الاستعارية في ديوان "سكرة البوح" لعلي مصطفى لون، قدّمت إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو كنو، عام 2020م
- 18 - ولد العفاسي في قرية (قيا) في محافظة (مُرَادُنْ) بولاية "زَمْفَر" ونشأ في ولاية "كَبَب" وتلقى ثقافته في الدهايز والمدارس العربية النظامية التي حضرها، وكان خريج قسم اللغة العربية بجامعة أحمد بلو زاريا، بدأ قرض الشعر في سن مبكّر، وساعدت في تكوين شاعريته عدة مؤثرات، منها: عمّه الذي زرع فيه حبّ الشعر العربي الفصيح، ثم قراءته لبعض القصائد الرائعة مثل، كتاب الزهد، والبدماصي، والبردة، ومختارات الشعراء الجاهليين، يضاف إلى ذلك متابعته لبرنامج "أمير الشعراء".
- منقول من سيرته الذاتية التي قرأها في برنامج "منبر الإبداع"
- 19 - هذه القصيدة من ضمن القصائد التي قرأها الفيصلي في برنامج "منبر الإبداع" الذي أقيم عبر منصة رُوم بتاريخ: من الساعة الثانية ظهرا.
- 20 - حين جيّد الليل في معلقته ليصف معاناته، (وليل كموج البحر أرخى سدوله# عليّ بأنواع الهموم ليبتلي)، امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، ط2، دار المعرفة، بيروت 1425، ص48.

- 21- عندما يصف تجربته مع الحمى في الليل، فيشخصها قائلاً: (وزارتي كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام)،
المتنبي، شرح ديوان المتنبي، النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع
- 22- رواه الترمذي (2 / 64) وابن ماجه (4023) والدارمي (2 / 320) والطحاوي (3 / 61) وابن حبان (699) والحاكم
- (1 / 40، 1) وأحمد، راجع: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط1، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ج7: 1422 هـ - 2002م ص273.
- 23- كان الفيصلي من مواليد لأجوس النيجيرية، أخذ مبادئ القراءة في ولايته، وولع بالشعر العربي الفصيح منذ نعومة أظفاره، فبدأ
قرض الشعر عقب تخرجه في الثانوية عام 2019م وكتب قصائد في أغراض مختلفة من الغزل، والفخر، والمديح، والمناسبات، وشارك
في مهرجانات شعرية ولقاءات نقدية ثقافية على المستوى الوطني. منقول من سيرته الذاتية التي قرأها في برنامج "منير الإبداع" الذي أقيم عبر منصة روم بتاريخ: ؟؟؟؟؟ من الساعة الثانية ظهرا.
- 24- مدخل إلى النقد الحديث، شلتاغ شروود عبود، مرجع سابق.
- 25- وُلد علي مصطفى لون عام 1990م بحَيِّ هُوسَاوْرُ طَنْ فُلَانِي ولاية كنو، تلقى تعليمه في الكتاتيب والمدارس النظامية، بولاية
كنو، ثم حصل على المنحة الدراسية من قبل الأزهر الشريف عام 2010م، ولا يزال إلى الآن يحضر الدكتوراه بالأزهر نفسه، بدأ
نظم الشعر بعد التحاقه بالأزهر.
- 26- علي مصطفى لون، سكرة بوح، الطبعة الأولى، الدرويش للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م ص9-11
- 27- كما رآها أاد زهران محمد جبر في تقديمه للديوان.
- 28- راجع دواوين المالكي: (من الصفر حتى انتهاء العدد) و (لغة مشاعر وأحاسيس) و(تراجميديا الوطن العملاق) و (لا مساس)
- 29- راجع ديوان علي مصطفى لون: (سكرة البوح) الطبعة الأولى، الدرويش للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م
- 30- لم يعثر الباحث على ديوان للفيصلي، إلا قصائد ينشرها على عنوان: النادي الأدبي النيجيري على الاتساف وفيسبوك.
- 31- <https://mawdoo3.com>
- 32- شاعر شاعر فلسطيني، وأستاذ للعلوم السياسية، ولد في القاهرة، 13 يونيو 1977م، حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم
السياسية من جامعة بوسطن عام 2004م نشأ في أسرة تهتم بالأدب العربي، فوالده الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي، ووالدته
الروائية المصرية رضوى عاشور. نشر ديوانين باللغة العربية الفصيحة، هما: "مقام عراق" و "في القدس"
راجع (ويكيبيديا) . يتمتع
البرغوثي بشعبية كبيرة في العالم العربي وخارجه، وله عدد كبير من المتابعين لصفحته على فيسبوك.
- 33- شاعر مصري ولد في 26 فبراير 1966 بمدينة أسبوط بمحافظة أسبوط، عاش طفولته وتلقى تعليمه في القاهرة، وتخرج من دار
العلوم عام 1989م عمل معيدا بقسم النقد والبلاغة والأدب المقارن بكلية الدراسات العربية والإسلامية جامعة القاهرة، فرع الفيوم

منذ عام 1990م. بدأ الكتابة عام 1985م ثم ترك العمل ليتفرغ للكتابة. من دواوينه المنشورة: "وداعا أيتها الصحراء" عام 1998
 "جزيرة مسك" عام 2002م و "وطن بحجم عيوننا" عام 2002م.
³⁴- دبلوماسي وشاعر سوري معاصر، ولد في 21 مارس 1923م من أسرة عربية دمشقية عريقة، درس الحقوق في الجامعة السورية، وعمل في السلك الدبلوماسي، حتى استقل عام 1966م. أصدر أولى دواوينه عام 1944م بعنوان "قالت لي السمراء"،
 وتابع التأليف والنشر حتى بلغت دواوينه 35 ديوانا. راجع (ويكيبيديا).
³⁵- هشام كامل عباس محمود الجخ، ولد في 1 أكتوبر 1978م، شاعر مصري معاصر، درس في سوهاج ثم انتقل في مرحلة الجامعة إلى القاهرة، وحصل على بكالوريوس كلية التجارة من جامعة عين شمس عام 2003م له أكثر من 55 قصيدة معظمها بالعامية المصرية. راجع (ويكيبيديا)، بدأ اهتمام الشعراء في العالم العربي وخارجه بقصائد الجخ بعد مشاركته في مسابقة "أمير الشعراء" بأبي ظبي.

³⁶- كانت هذه الصفحة من أنشط الصفحات على فيسبوك وتضم عددا كبيرا من المتابعين والشعراء.

³⁷- <http://www.wikipedia.org/11/10/2021/8:55pm>,